[وقد رأيت القاضي شريحاً، وكان ألطف العالم وأذكاهم][1].

أبو القاسم ابن المقرىء، حاجب الدِّيوان

كان شاباً حسناً، يعاشر ابنَ الأمير أصبه شاباً جميلاً، جلسا يوماً، فداعب ابنُ المقرىء ابنَ أصبه، فرماه بسكِّينٍ صغيرةٍ، فوقعت في فؤاده، فقتلته، فَسَلَّم الخليفةُ ابنَ المقرىء إلى أولاد أصبه، فلما خرجوا به ليقتلوه، أنشد: [من الوافر]

قَدِمْتُ على الإله بغير زاد ... من الأعمالِ بل قلبٍ سليمِ
وسوءُ الظَّنِّ أَنْ تعتدَّ زاداً ... إذا كان القدومُ على كريمِ

فقتلوه، رحمه الله تعالى.

السنة الرَّابعة وست مئة

فيها ولي [خالي أبو محمد][1] محيي الدين يوسف ابنُ الجوزي الحِسْبة بجانبي بغداد.

ودرَّس الكمال عبد الرَّحيم بن محمد الواسطي بمدرسة أم الخليفة مكان الفارقي.

وقَدِمَ الحاجُّ من مكة في صفر، وحكوا ما لقوا من صدرجهان وشِدَّة العطش، وأن غِلْمانه كانوا يسبقون النَّاس إلى المناهل، فيأخذون الماء، فيرشُّون به حول خيمته، ويسقون أحواضَ البَقْل على الجمال، وماتَ عطشاً أكثرُ النَّاس، وسمُّوا هذه السنة سنة صدر جهنم، ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحدٌ للقائه، ولعنوه في وَجْهه، وسبُّوه في الأسواق، وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع، وكان النِّساء يخرجن [صارخات][1]، منشرات الشُّعور، يَلْطِمْنَ على موتاهن، ويقلن: العنوا صَدْرَ جهنم. فسأل الوزيرَ أَنْ يأذن له في الرُّجوع إلى بلده، فخلع عليه جُبَّة وعِمامة وطَيْلَسان، وخرج من بغداد والنَّاسُ خلفه يسبُّونه، ولم يقدر أحدٌ على مَنْعهم.

قال المصنف: وحججتُ [أنا][1] في هذه السنة، وهي الرابعة وست مئة، ورأيتُ من الموتى ما أذهلني، وخصوصاً في النقرة والغُسَيْلة، فإني رأيتُ فيهما ما يزيد على خمسة آلاف ميت، ومشينا ثلاثة أيام في الأموات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها ولي القوام ابن ناصر المخزن، وعُزِلَ عنه محمد بن الوزير بن مهدي، وكان القوام من المدائن.

وانتقل العماد ابن الحُبَيْر من مذهب الإمام أحمد إلى مذهب الإمام الشَّافعي ـ رحمة الله عليهما ـ وأعطى مدرسته للإصبهبذ، ثم لما ولي الإمام الظاهر الخلافة أراد أَنْ يرجعَ إلى مذهب الإمام أحمد، رحمة الله عليه، فلم يمكَّن من ذلك.

وفي جُمادى الآخرة بعث الخليفةُ رجلاً من أهل باب الأَزَج يقال له: ابن دكالة، فأغلق بابَ الوزير ابنِ مهدي، وقبضَ عليه وأقام أياماً، ثم نقله في رجب إلى دار طاشْتِكِين بالصناعة، [في دار الخليفة التي مات بها القاضي شريح][1]، ونقل أهله وأولاده وأمواله وذخائره، ووجد له من الأموال والذَّخائر ما لم يوجد في خزائن الخُلَفاء، فلم يتعرَّض له الخليفة، وفوَّض الأمر إلى المكين محمد القُمِّي كاتب الإنشاء بين يدي ابن مهدي، وناب القُمِّي بعد ذلك في الوزارة إلى أيام المستنصر، فقبض عليه.

واختلفوا في سبب عزله، فقال قومٌ: كان الوزير ابن مهدي ظالماً جَبَّاراً، قاسياً، متكبراً، قليل الرحمة، قَلَّ أَنْ حبس أحداً فتخلَّص منه، [حكى لي خالي أبو محمد يوسف، قال][2]: شفعتُ يوماً إليه في محبوسٍ، فقال: وكم له في الحَبْس؟ قلتُ: خمس سنين، قال: ليس هذا بمحبوس، المحبوس عندنا في العجم مَنْ يمضي عليه خمسون سنة.

[وقال آخرون][3]: إنَّ المكين القُمِّي سعى به إلى الخليفة، وقال: إنه قد طَمِعَ في الخلافة، ويقول: أنا علوي، ونحن أحقُّ، وأنه ينفذ الأموال إلى العجم في قواصر التَّمْر إلى أهله بخراسان، ليجنِّدوا العساكر، ويقيموا ملكاً، ويقصدوا بغداد.

[وقال آخرون][1]: إنَّه اتَّفق مع ابن ساوى النَّصْراني على قَتْلِ علاء الدِّين تنامش مملوك الخليفة، [وسنذكره][1]، ولما ظهر تجبُّره واستقلاله بالأمور هجاه أهلُ بغداد، وكتبوا فيه الأشعار، وأوصلوها إلى الخليفة، منها ما كَتَبَ به يعقوبُ بن صابر المنجنيقي: [من الطويل]

خليليَّ قُولا للخليفةِ أحمد ... تَوَقَّ وُقِيْتَ السُّوءَ ما أنتَ صانِعُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): قال محيي الدين أبو محمّد يوسف ابن الجوزي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وقيل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وزيـرُك هـذا بـيـن أمـريـنِ فـيـهـمـا صَـنِـيْـعُـك يـا خـيـرَ الـبَـرِيَّـةِ ضـائِـعُ
فـإنْ يـكُ حـقّـاً مـن سُـلالـة حَـيْـدَرٍ فـهـذا وزيـرٌ فـي الـخِـلافـة طـامِـعُ
وإنْ كـان فـيـمـا يـدَّعـي غـيـرَ صـادِقٍ فـأضْـيَـعُ مـا كـانـتْ لـديـه الـصَّـنـائِـعُ

وجلس يوماً في الدِّيوان، فوقعت بين يديه ورقةٌ مختومة، فلم يتجاسر على فَتْحها، فبعث بها إلى الخليفة، وفيها: [من السريع]

إنْ صَـحَّ مـا تَـزْعُـمُ يـا مُـدَّعـي إلـى نـبـيٍّ لـسـتَ مِـنْ نَـسْـلِـهِ
لا قـاتـلَ الـلـهُ يـزيـداً ولا مُـدَّتْ يـدُ الـسُّـوءِ إلـى نَـعْـلِـهِ
لأنَّـه قـد كـانَ ذا قُـدْرةٍ عـلـى اجـتـثـاثِ الـعُـوْدِ مِـنْ أَصْـلِـهِ
وإنَّـمـا أبـقـاكَ أحـدوثـةً لـلـنَّـاسِ كـي يُـعْـذَرَ فـي فِـعْـلِـهِ

فكانت سببَ حَتْفه، لأَنَّ الخليفة قال: ما كتبوا هذه إلا وقد أهلك الحَرْثَ والنَّسْل.

وقال مظهر اليماشكي:

ذا الخماين المُدَّعي لو صحت أنسابه ما خان وقبح على مَنْ حَسَّن ألقابه
صوم الخنا والتعدِّي والبطر صابه في فتح الحلق ذكره وانغلق بابه

وفيها رتَّبَ الخليفةُ في رمضان دور المضيف ببغداد من الجانبين عشرين داراً، في كلِّ دار في كلِّ ليلة خمس مئة قَدَح، وألفُ رَطْل من الطبيخ الخاصِّ، والخبز النَّقي والحلوى، وغير ذلك، مستمراً في كلِّ رمضان.

وفيها وصل النجم خليل الحنفي؛ قاضي العسكر إلى بغداد رسولاً من العادل، فأخرج في مقابلته الشِّهاب السُّهْرَوَرْدي وسُنْقُر السَّلَحْدار، ومعهما الخِلَع للعادل وأولاده، وكان في خِلْعة العادل الطَّوْق والسِّواران.

وفيها مَلَكَ الأوحد بن العادل خِلاط، كاتبه أهلُها بعد قَتْلِ ابنِ بَكْتَمُر والهَزَار دينارى، وكانت بنت بَكْتَمُر مع صاحب أَرْزَن الرُّوم، فقالت: لا أرضى حتى تقتل الهَزَار دينارى، وتأخذ بثأر أخي. فسار إلى خِلاط، وخَرَجَ الهَزَار دينارى للقائه، فَضَرَبه فأبان رأسه، وعاد إلى أَرْزَن الرُّوم، وبقيت خِلاط بغير ملك، وكان الأوحد صاحب مَيَّافارِقِين، فكاتبوه، فجاء إليهم، واستولى عليها، وكانوا جبابرة، وتشرَّط عليه المكدفانية والمقدَّمون، فَشَرَعَ فيهم، فأبادهم وغرَّقهم في بحر خلاط، وبدَّد شَمْلَهم.

وحجَّ بالنَّاس من العراق ياقوت. قال المصنف رحمه الله: وحججت معه، وهي أول حجاتي، وكانت الوقفة يوم الأربعاء، وعُدْتُ إلى العراق.

وحجَّ من الشَّام بدر الدين دُلْدُرم، وشيخ الشيوخ صدر الدين وأولاده، وشِبْل الدولة الحسامي.

وفيها توفي

علاءُ الدِّين تَنامِش [ابن عبد الله][1]

مملوك الإمام الناصر، وكان شجاعاً، عاقلاً، صالحاً، متصدِّقاً، رحوماً، رقيق القَلْب، لا يَقْرَبُ المُسْكر ولا الفواحش، وكان يُطْعِمُ المسكين، ويكسو العاري، [وكان الخليفة يحبه ويقربه، والوزير ابن مهدي يَشْنَؤه لقربه من الخليفة،][2] وكان ابن مهدي قد ولَّى الدُّجَيْل ودقوقا رجلاً نَصْرانياً يقال له ابن ساوى، فتسلَّط على المُسْلمين وفتك وظَلَمَ، وأهان المُسْلمين، وأَذَلَّهم، وكان يركبُ مِثْلَ صاحب الدِّيوان، وجميع النَّاس مشاةٌ بين يديه، [قالوا:][2] وكان [ابن ساوى][2] يحمل مَغَلَّ البلاد إلى ابنِ مهدي، فيأخذ [منها][2] ما يريد، ويُعْطي للخليفة ما يريد، فأقطع الخليفة تنامش دقوقا والدُّجَيْل، فخرج إليهما، واطَّلع على الأحوال، فخاف ابنُ مهدي. قالوا: فاتَّفق مع ابنِ ساوى على أن يُسِمَّ تنامش، فمضى النَّصْراني إلى دقوقا، وتوصَّل إلى تنامش، ودسَّ عليه من سقاه السُّمّ، فمرض [تنامش][2]، وعاد إلى بغداد مريضاً، فمات بعد أيام، فتقدَّم الخليفةُ بأَنْ يفتح له جامع القَصْر، ولا يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ من أرباب الدَّولة إلا الخليفة والوزير، وحُمِلَ إلى مشهد موسى بن جعفر، فَدُفِنَ هناك، وعلم الخليفةُ بباطن الحال، فأمر بأن يُسَلَّم ابنُ ساوى إلى غِلْمان تنامش، فكتب ابنُ مهدي إلى الخليفة يقول: إنَّ النَّصارى قد بذلوا في ابن ساوى خمسين ألف دينار ولا يُقْتل. فكتب [الخليفة][2] على رأس الرُّقْعة: [من البسيط]

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ هِمَّتُها ... يومَ الكريهة في المَسْلُوب لا السَّلَبِ

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٧-١٨٨، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فَسُلِّمَ ابنُ ساوى إلى مماليك علاء الدين، فأُخرج من دار الوزير، وفي رقبته حَبْلٌ وهو مكتوفٌ، فقتلوه وأحرقوه، وكان لابنِ مهدي مملوكٌ عاقل يقال له: آق سُنْقُر الدَّوادار، وكان يطالع الخليفةَ بأخبارِ ابنِ مهدي، وأَنَّه يكاتب الأعاجم، ويسعى في فساد الدولة، وعلم الوزير، فسقاه السُّمَّ، فمات في ربيع الآخر [هو وعلاء الدين][1] تنامش في أيامٍ قريبة، فكتَبَ محمدُ بنُ جميل كاتب المخزن إلى الخليفة [أبياتاً يذكر فيها ابن مهدي وابن ساوى وعلاء الدين والدوادار][1]: [من الكامل]

هذا ابنُ مهدي قد أتى من بعدما ... طافت عليه من النُّحوس طوائِفُ
واسْتَوْعَبَ الأعمالَ مُقْتَطِعاً لها ... جَهْراً وذلك ظاهرٌ متعارَفُ
وأقام يُحْدِثُ في الرَّعِيَّة سيرةً ... ما سارها إلا غشومٌ عاسِفُ
متخيِّراً مِثْلَ ابنِ ساوةَ ناظراً ... متجبراً ممن عليه يشارِفُ
فمضى ابنُ ساوةَ هالكاً من بعدما ... تمَّتْ عليه من العذاب طوائفُ
أتنامش يا مَنْ نمته مراحمٌ ... نبويةٌ وصفت عليه عوارفُ
كيف استجازَ الخارجيُّ وَرَهْطُهُ ... أَنْ يطمعون وأنتَ فيهم عارِفُ
وكذا الحِمامُ أتى إلى أَق سُنْقُر الـ ... ـمِسْكينِ إذْ هو بالدَّسائس عارِفُ
ومتى شَرَعْتُ أرومُ حَصْرَ صفاتِهِ ... ضاقَ الزَّمانُ وكلَّ عنها الواصِفُ

فقبض الخليفة على ابن مهدي في جمادى الأولى.

الحسن بنُ أبي طالب[2]

شرف الدِّين، النَّاقد ابن قنبر.

ولاه الخليفة حِجْبة الباب، وناب في الوزارة، ثم ولاه صاحب المخزن، فتجبَّر وطغى، وبنى بدرب المطبخ داراً تناهى في بنائها، فلم يكن ببغداد مِثْلُها، وشَرَعَ في الظُّلْم والفِسْق، وتجاهَرَ به، ومدَّ عينه إلى أولاد النَّاس، وكان قبيحَ السِّيرة، فَرُفِعَ أمره

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

إلى الخليفة، فأخذه [أخذ عزيز مقتدر][1] وقبضَ عليه، واستأصله، ونَقَضَ داره إلى الأساس، وحبسه، فأُخرج في رمضان ميتاً، فدفن بمشهد باب التِّبْن.

حَنْبَل بنُ عبد الله[2]

ابن الفرج بن سعادة، أبو علي المُكَبِّر بجامع الرَّصافة.

كان فقيراً جداً، [وكان قد سمع][3] «المسند» من ابن الحُصَيْن، فقيل له: لو سافرت إلى الشَّام. فخرج من بغداد، فأَسْمَعَ «المُسْنَد» بإرْبِل، فسمعه ابنُ زين الدين، وبالمَوْصِل وبدمشق، فسمعه الملك المعظَّم عيسى في الكلَّاسة، [وألحق الصِّغار بالكبار][1]، وكان كثيرَ الأمراض بالتُّخَم، لأَنَّ المعظم كان يُطْعِمُهُ ألوان الطعام، وأشياء ما رآها [ولا في المنام، وكان معوَّداً ببغداد أكل الهرطمان وتلك الألوان، وبلغني أن الشيخ تاج الدين الكندي حضر يوماً عندهم في السماع، ولم يحضر حنبل، فقال تاج الدين: وأين حنبل؟ فقال المعظم: هو متخوم. فقال تاج الدين: أطعمه عدس. فضحك المعظم والجماعة][1].

وكان عمر بن طَبَرْزَد قد رافقه من بغداد إلى الشَّام، وحصَّلا مالاً طائلاً، وعادا إلى بغداد، فاشترى حَنْبل العَتَّابي والكاغَد، وعَزَمَ على العود إلى الشَّام في تجارة، فأدركته المنيةُ رابع عشر محرَّم عن تسعين سنة، ودُفِنَ بباب حَرْب ولم يكن له وارثٌ، فحمل المال إلى بيت المال، ومات ابنُ طَبَرْزد في السنة السَّابعة [وست مئة][1].

[فصل: وفيها توفي

عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن[4]

البزوري الواعظ، من أهل باب البصرة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٢٧٨ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٢٥ـ١٢٦ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٨٨-١٨٩ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٣١ـ٤٣٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): وسمع المسند...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، وقرأ على جدي الحديث والفقه والوعظ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته حتى كنى نفسه أبا الفرج، واجتمع إليه سفساف أهل باب البصرة، وانقطع عن جدي، ولما جاء من واسط ما جاء إليه ولا رآه، وكانت وفاته في صفر، وكان في عَشْر السبعين تزوَّج صبيَّةً، ثم اغتسل في يوم بارد، فانتفخ ذكره، ومات، سمع أبا الوقت وغيره.

وفيها توفي

عبد المجيب بن أبي القاسم عبد الله بن زهير[١]

أبو محمد، الحَرْبي، ابن أخي عبد المغيث الحربي.

ولد سنة سبع وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وكان يتردد من عند الخليفة إلى العادل في أمور خفية، فخرج في السنة الماضية، فاجتمع بالعادل، وعاد في هذه السنة، فتوفي بحماة، وسمع أحمد بن الطلاية، وعبد الله بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف، وغيرهما، وكان صالحاً، ثقة][٢].

قراجا الصَّلاحي[٣]

صاحب صَرْخَد، [ولقبه زين الدين][٢].

كان شجاعاً، جَوَاداً، توفي بدمشق، ودفن بقاسيون، وقبره عند تربة ابن تميرك في قُبَّةٍ على الجادَّة.

محمود بن هبة الله[٤]

ابن أبي القاسم الحِلِّي، أبو الثَّناء البزَّاز.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٢٦ـ١٢٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٧٢ـ٤٧٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٠-١٩١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٠ـ١٣١ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩١ .

قرأ القرآن [على ابن عساكر البطائحي، والأدب على أبي محمد بن الخشاب][1]، وسمع الحديث على [أبي الوقت، وعلى][1] إسماعيل بن موهوب ابن الجَوَاليقي وغيره، وحُكي عن إسماعيل بن موهوب، قال: كنتُ في حَلْقة والدي [أبي منصور موهوب][1] يوم جُمُعةٍ بعد الصَّلاة بجامع القَصْر، [والناس يقرؤون عليه،][1] فوقف عليه شابٌ، فقال: [يا سيدي،][1] ما معنى قول القائل: [من البسيط]

وَصْلُ الحبيبِ جِنَانُ الخُلْدِ أَسْكُنُها ... وهَجْرُه النَّارُ يُصْلِيني به النَّارا

فالشَّمْسُ بالقَوْسِ أمست وهي نازِلَةٌ ... إن لم يَزُرْني وبالجَوْزاء إنْ زارا

فقال له والدي: يا بُني: هذا شيءٌ يتعلَّق بسير الشمس في البروج، وما يتعلَّق بعِلْم الأدب، ثم قام والدي، وآلى على نفسه أن لا يعودَ إلى مكانه حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر، فنظر فيه وعَلِمه بحيثُ إذا سُئِلَ عن أيِّ شيء منه أجاب. ومعنى الشِّعْر: أَنَّ الشمس إذا نزلت في القَوْس يكون الليل في غاية الطُّول، وإذا كانت في الجوزاء كان اللَّيل في غاية القِصَر.

[وفيها توفيت

ست الكتبة[2]

واسمها نعمة بنت علي بن يحيى بن محمد بن الطَّرَّاح، شيختنا، سمعت عليها الحديث بدمشق في سنة ست مئة، وكانت صالحة زاهدة، عابدة، وتوفيت في ربيع الأول، ودفنت بباب الفراديس، روت «شمائل النبي ﷺ» للترمذي عن أبي شجاع عمر ابن أبي الحسن البِسْطامي، وعن جدها أبي محمد يحيى بن محمد بن الطراح، وغيرهما.

فصل: وفيها حج بالناس من العراق ياقوت][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لها ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ١٣٠ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٣٤ـ٤٣٥ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمتها.